هذا الكتاب منشور في



ما جاء في القرآن والآثار

من النهي عن اتخاذ الكافرين والمنافقين أولياء وأنصاراً

قال الله عز وجل:
{لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (28) قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (29)} [آل عمران: 28، 29]

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ}، قال: نهى الله سبحانه المؤمنين أن يُلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجةً من دون المؤمنين، إلا أن يكون الكفارُ عليهم ظاهرين، فيظهرون لهم اللّطف، ويخالفونهم في الدين. وذلك قوله: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}.[1]

وفي رواية أخرى عن ابن عباس، في قوله تعالى: { إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً }، قال: " التقاة القول والتكلم باللسان، وقلبُه مطمئن بالإيمان، وليست باليد أو العمل"، وزاد في رواية " فلا إثم عليه ما لم يبسط يده فيقتل، أو يبسطها إلى معصية الله، فلا عذر له إن فعل ".[2]

وعن مجاهد، في قوله تعالى: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}، قال: " إلا مُصَانَعَةً فِي الدُّنْيَا وَمُخَالَقَةً".[3]

[1] رواه الطبري (6825) وابن أبي حاتم (3375) وابن المنذر (348) في تفاسيرهم، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به.

[2] رواه الطبري (6829) من طريق قبيصة، وابن أبي حاتم (3382) من طريق أبي أسامة، وابن أبي شيبة (33043) عن وكيع، والحاكم في المستدرك (3149) وعنه البيهقي في السنن الكبرى (16900) من طريق محمد بن بشر العبدي، أربعتهم عن سفيان الثوري، قال قبيصة ووكيع عن سفيان عن ابن جريج عمن حدثه عن ابن عباس، وقال أبو أسامة عن سفيان قال ابن عباس، وقال محمد بن بشر سمعت سفيان يذكر عن ابن جريج، قال: حدثني عطاء، عن ابن عباس.
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». (قلتُ) الظاهر أن ذكر عطاء في إسناد الحاكم خطأ، والله أعلم.
وقد رواه ابن المنذر (352) من وجه آخر، من طريق محمد بن ثور عن ابن جريج قال: قال ابن عباس. والزيادة عنده وعند الحاكم أيضا.

[3] رواه الطبري (6831) و(6832) وابن أبي حاتم (3385) من طرق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وعن عكرمة، في قوله تعالى: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}، قال:" ما لم يُهرِق دمَ مسلمٍ، وما لم يستحلّ ماله".[4]

وعن الضحاك، في قوله تعالى: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}، قال: " التقيةُ باللسان. مَنْ حُمل على أمر يتكلم به وهو لله معصيةٌ، فتكلم مخافةً على نفسه، وقلبه مطمئن بالإيمان، فلا إثم عليه، إنما التقيَّة باللسان".[5]

وعن أبي العالية، في قوله تعالى: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}، قال: «التقيَّة باللسان وليس بالعمل».[6]

وعَنِ السُّدِّيِّ في قوله تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ} إلى: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}، قال: " أَمَّا {أَوْلِيَاءَ}: فَيُوَالِيهِمْ فِي دِينِهِمْ، وَيُظْهِرُهُمْ عَلَى عَوْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَنْ فَعَلَ هَذَا فَهُوَ مُشْرِكٌ، فَقَدْ بَرِئَ اللَّهُ مِنْهُ، إِلَّا أَنْ يَتَّقِيَ مِنْهُمْ تُقَاةً، فَهُوَ يُظْهِرُ الْوَلَايَةَ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ وَالْبَرَاءَةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ".[7]

وعن عوف الأعرابي عن الحسن البصري، قال: «التقية جائزة للمؤمن إلى يوم القيامة، إلا أنه كان لا يجعل في القتل تقية».[8]

وعن فضيل بن مرزوق، عن الحسن البصري، قال: «إنما التقية رخصة، والفضل القيام بأمر الله».[9]

وعن الحسن البصري، قال: إن عيونا لمسيلمة أخذوا رجلين من المسلمين فأتوه بهما، فقال لأحدهما: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، قال: أتشهد أني رسول الله، قال: فأهوى إلى أذنيه فقال: إني أصم، قال: ما لك إذا قلت لك: تشهد أني رسول

(مُصَانَعَة) من صانَعَه أي: دَارَاهُ ولَيَّنَه وداهَنَه. لسان العرب (8/ 212)، و(مُخَالَقَة) يُقال: خالَقَهُم مُخالَقَة: إذا عاشَرَهُم على أَخْلاقِهِم. تاج العروس من جواهر القاموس (25/ 261)

[4] رواه الطبري (6830) وابن أبي حاتم (3380) من طريق حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان عن عكرمة.

[5] رواه الطبري (6834) وابن المنذر (353) من وجهين عن الضحاك.

[6] رواه الطبري (6833) وابن أبي حاتم (3383) وابن أبي شيبة في مصنفه (33044) من طريق أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية.

[7] رواه الطبري (6828) وابن أبي حاتم (3376) و(3378) و(3379) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط عن السدي.

[8] رواه البخاري في صحيحه تعليقا (9/ 19) مختصرا بلفظ «التقية إلى يوم القيامة»، ووصله ابن أبي شيبة في مصنفه (33042)، وعبد بن حميد في تفسيره، كما نقله الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (5/ 261)، من طريقين عن عوف، والزيادة عند كليهما. وقال الحافظ: " ومعنى التقية الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير، وأصله وقية بوزن حمزة فعلة من الوقاية". فتح الباري (12/ 314)

[9] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (33048)

الله، قلت إني أصم، فأمر به فقتل، وقال للآخر: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، فقال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم، فأرسله، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: هلكت، قال: «وما شأنك؟» فأخبروه بقصته وقصة صاحبه، فقال: «أما صاحبك فمضى على إيمانه، وأما أنت فأخذت بالرخصة»، وفي رواية أبي داود: «صاحبك أخذ بالفضل وأنت أخذت بالرخصة، علام أنت اليوم؟» قال: أشهد أنك رسول الله وأنه كاذب. [10]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «ما من كلام أتكلم به بين يدي سلطان يُدْرَأُ عني به ما بين سَوْطٍ إلى سوطين إلا كنتُ متكلما به»[11].

---

[10] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (33037) وأبو داود في المراسيل (326) من طريق يونس عن الحسن هكذا مرسلا، ورواه عبد الرزاق في تفسيره (1524) عن معمر مرسلا أيضا. وقال شيخنا الألباني: " سندها صحيح عن الحسن، وهي قصة جيدة، لولا أنها من مراسيل الحسن البصري؛ لكن الآية السابقة – يعني قوله تعالى {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} [النحل: 106] - وسبب نزولها يشهدان لصحتها. والله أعلم. وقد روى الشطر الأول منها ابن إسحاق في " السيرة " (2 / 74 ـ 75) بسند حسن عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة مرسلا أيضا، وسمى صاحبها حبيب بن زيد؛ أي: ابن عاصم الأنصاري المازني شهد العقبة، وقد ذكرها ابن كثير في تفسير الآية، وابن حجر في ترجمة حبيب من " الإصابة " جازمين بها ". والله سبحانه وتعالى أعلم. سلسلة الأحاديث الضعيفة (12/ 724)

[11] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (33046) والطبراني في المعجم الكبير (8849) وأبو نعيم في حلية الأولياء (4/ 127) وفيه قصة، من طرق عن أبي حيان التيمي عن أبيه عن الحارث بن سويد عن عبد الله بن مسعود موقوفا، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (17638)، وقال: رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: «إنا لَنَكْشِرُ[12] في وجوه أقوام، ونضحك إليهم، وإن قلوبنا لتلعنهم»[13] وفي رواية " وإن قلوبنا لتَقْلِيهم" [14]

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله: " وهذا نهيٌ من الله عز وجل المؤمنين أن يتخذوا الكفارَ أعوانًا وأنصارًا وظهورًا، ولذلك كسر {يتخذِ}، لأنه في موضع جزمٌ بالنهي، ولكنه كسر "الذال" منه، للساكن الذي لقيه وهي ساكنة. ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفارَ ظهرًا وأنصارًا توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلُّونهم على عوراتهم، فإنه مَنْ يفعل ذلك {فليس من الله في شيء}، يعني بذلك: فقد برئ من الله وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله

---

[12] قال الحافظ: (لنَكْشِرُ) بالكاف الساكنة وكسر الشين، و(الكَشْرُ) بالشين المعجمة وفتح أوله ظهور الأسنان وأكثر ما يطلق عند الضحك، والاسم (الكِشْرَةُ) كالعِشْرَةِ . فتح الباري (10/ 528)، وانظر لسان العرب (5/ 142) و النهاية في غريب الحديث والأثر (4/ 176)

[13] رواه البخاري في صحيحه تعليقا (8/ 31) قال: ويذكر عن أبي الدرداء فذكره، ووصله هناد بن السري في الزهد (2/ـ 590) وابن أبي الدنيا في مداراة الناس (109) وفي الحلم (19) والدينوري في المجالسة (1087) والبيهقي في شعب الإيمان (7749) والشجري في الآمالي (2117) وعلي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية، فيما نقله عنه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (4/ـ 110)، وإبراهيم الحربي في غريب الحديث، فيما نقله عنه الحافظ في تغليق التعليق (5/ـ 102)، من طرق عن الأحوص بن حكيم عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء، وفي بعض الطرق بدون ذكر جبير بن نفير في الإسناد، وفي أحدها عن الأحوص بن حكيم عن أبيه عن أبي الزاهرية به، وأي ما كان، فمداره على الأحوص بن حكيم وهو ضعيف الحفظ، كما قال الحافظ في التقريب، فلعل هذا الاختلاف منه.
وروى من وجهين آخرين عن أبي الدرداء، فرواه أبو نعيم في الحلية (1/ـ 222) من طريق خلف بن حوشب عن أبي الدرداء، وفيه انقطاع بين خلف وأبي الدرداء كما قال الحافظ ابن حجر.
ورواه أبو بكر بن المقرئ في (فوائده) من طريق كامل أبي العلاء عن أبي صالح عن أبي الدرداء، فيما نقله الحافظ عنه، وقال: منقطع وكامل ضعيف. فتح الباري (10/ 528) وتغليق التعليق (5/ 102).
وذكر شيخنا الألباني طرقه السابقة وقال: "لعله يتقوى بهذه الطرق، وبالجملة، فالحديث لا أصل له مرفوعا، والغالب أنه ثابت موقوفا، والله أعلم". سلسلة الأحاديث الضعيفة (1/ 383) (216)

[14] قال الحافظ: وإن قلوبنا (لتلعنهم) كذا للأكثر بالعين المهملة واللام الساكنة والنون، وللكشميهني بالقاف الساكنة قبل اللام المكسورة ثم تحتانية ساكنة من (القلا) بكسر القاف مقصور وهو البغض، وبهذه الرواية جزم ابن التين. فتح الباري (10/ 528). قلتُ: أي (لتَقْلِيهم) وهي كذلك في رواية علي بن معبد فقط سابقة الذكر، وكل الروايات الأخرى (لتلعنهم).

في الكفر {إلا أن تتقوا منهم تقاة}، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مُسلم بفعل، كما حدثني... ". [15]

ثم ذكر الطبري بأسانيده أقوال كثير من السلف في الآية، كعبد الله بن عباس ومجاهد وعكرمة وأبي العالية والضحاك والسدي وغيرهم، والتي سبق ذكرها.

وقال الطبري في موضع سابق وهو يوضح معنى كلمتي (الولي) و(من دون) وذلك في تفسيره لقول الله تعالى في سورة البقرة {وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: 107] قال: " و"الولي" معناه "فعيل" من قول القائل: "وَلِيت أمر فلان"، إذا صرت قيِّما به، فأنا أليه، فهو وليه وقَيِّمُه. ومن ذلك قيل: "فلان ولي عهد المسلمين"، يُعْنَى به: القائم بما عهد إليه من أمر المسلمين.

وقال:" وأما معنى قوله: (من دون الله)، فإنه سوى الله، وبعد الله، ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

يا نفس مالك دون الله من واقي ... وما على حدثان الدهر من باقي

يريد: مالك سوى الله وبعد الله من يقيك المكاره. فمعنى الكلام إذا: وليس لكم، أيها المؤمنون، بعد الله من قيم بأمركم، ولا نصير فيؤيدكم ويقويكم، فيعينكم على أعدائكم". [16]

وقال كذلك في تفسير قول الله عز وجل: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: 120] :" يعني بذلك: ليس لك يا محمد من ولي يلي أمرك، وقيم يقوم به، ولا نصير، ينصرك من الله، فيدفع عنك ما ينزل بك من عقوبته، ويمنعك من ذلك، إن أحل بك ذلك ربك". [17]

وقال في قوله تعالى: {بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (139)} [النساء: 138، 139]: " يقول الله لنبيه: يا محمد، بشر المنافقين الذين يتخذون أهل الكفر بي

[15] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (6/ 313)
[16] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (2/ 489)
[17] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (2/ 564)

والإلحاد في ديني "أولياء"، يعني: أنصارًا وأخِلاء، "من دون المؤمنين"، يعني: من غير المؤمنين".[18]
وقال في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [الأنفال: 73]
: " المعروف في كلام العرب من معنى "الوليّ"، أنه النصير والمعين، أو: ابن العم والنسيب".[19]
وقال ابن كثير في قوله: {إلا أن تتقوا منهم تقاة} أي: إلا من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما حكاه البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: "إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم"[20].[21]
وقال ابن عطية: " واختلف العلماء في التقية ممن تكون؟ وبأي شيء تكون؟ وأي شيء تبيح؟ فأما الذي تكون منه التقية فكل قادر غالب مكره يخاف منه، فيدخل في ذلك الكفار إذا غلبوا، وجورة الرؤساء والسلابة وأهل الجاه في الحواضر، قال مالك رحمه الله: وزوج المرأة قد يكره، وأما بأي شيء تكون التقية ويترتب حكمها فذلك بخوف القتل وبالخوف على الجوارح وبالضرب بالسوط وبسائر التعذيب، فإذا فعل بالإنسان شيء من هذا أو خافه خوفا متمكنا فهو مكره وله حكم التقية، والسجن إكراه، والتقييد إكراه، والتهديد والوعيد إكراه، وعداوة أهل الجاه الجورة تقية، وهذه كلها بحسب حال المكره وبحسب الشيء الذي يكره عليه، فكم من الناس ليس السجن فيهم بإكراه، وكذلك الرجل العظيم يكره بالسجن والضرب غير المتلف ليكفر فهذا لا تتصور تقيته من جهة عظم الشيء الذي طلب منه، ومسائل الإكراه هي من النوع الذي يدخله فقه الحال، وأما أي شيء تبيح فاتفق العلماء على إباحتها للأقوال باللسان من الكفر وما دونه ومن بيع وهبة وطلاق، وإطلاق القول بهذا كله، ومن مداراة ومصانعة، وقال ابن مسعود: ما من كلام يدرأ عني سوطين من ذي سلطان، إلا كنت متكلما به[22]. واختلف الناس في الأفعال، فقال جماعة من أهل العلم منهم الحسن ومكحول ومسروق:

[18] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (9/ 319)
[19] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (14/ 87)
[20] سبق تخريجه برقم 13
[21] تفسير ابن كثير ت سلامة (2/ 30)
[22] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (33046) والطبراني في المعجم الكبير (8849) وأبو نعيم في حلية الأولياء (4/ 127) وفيه قصة، من طرق عن أبي حيان التيمي عن أبيه عن الحارث بن سويد عن عبد الله بن مسعود موقوفا، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (17638)، وقال: رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

يفعل المكره كل ما حمل عليه مما حرم الله فعله وينجي نفسه بذلك، وقال مسروق: فإن لم يفعل حتى مات دخل النار، وقال كثير من أهل العلم منهم سحنون: بل إن لم يفعل حتى مات فهو مأجور وتركه ذلك المباح أفضل من استعماله، وروي أن عمر بن الخطاب قال في رجل يقال له، نهيت بن الحارث، أخذته الفرس أسيرا، فعرض عليه شرب الخمر وأكل الخنزير وهدد بالنار، فلم يفعل فقذفوه فيها فبلغ ذلك عمر، فقال: وما كان على نهيت أن يأكل، وقال جمع كثير من العلماء التقية إنما هي مبيحة للأقوال، فأما الأفعال فلا، روي ذلك عن ابن عباس والربيع والضحاك، وروي ذلك عن سحنون وقال الحسن في الرجل يقال له: اسجد لصنم وإلا قتلناك، قال، إن كان الصنم مقابل القبلة فليسجد ويجعل نيته لله، فإن كان إلى غير القبلة فلا وإن قتلوه، قال ابن حبيب: وهذا قول حسن. قال القاضي: وما يمنعه أن يجعل نيته لله وإن كان لغير قبلة، وفي كتاب الله {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [البقرة: 115] وفي الشرع إباحة التنفل للمسافر إلى غير القبلة، هذه قواعد مسألة التقية، وأما تشعب مسائلها فكثير لا يقتضي الإيجاز جمعه".[23]

وقال ابن الجوزي:" قرأ يعقوب والمفضل عن عاصم «تَقِيَّةً» بفتح التاء من غير ألف".[24]

وقال: " والتقية رخصة، وليست بعزيمة. قال الإمام أحمد: وقد قيل: إن عرضت على السيف تجيب؟ قال: لا. وقال: إِذا أجاب العالم تقية، والجاهل بجهل، فمتى يتبين الحق؟ ".[25]

وقال الشنقيطي في قوله تعالى {إلا أن تتقوا منهم تقاة}: " فهذه الآية الكريمة فيها بيان لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقا وإيضاح ; لأن محل ذلك في حالة الاختيار، وأما عند الخوف والتقية، فيرخص في موالاتهم، بقدر المداراة التي يكتفي بها شرهم، ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة:

ومن يأتي الأمور على اضطرار ... فليس كمثل آتيها اختيارا

ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمدا اختيارا، رغبة فيهم أنه كافر مثلهم".[26]

وقال تعالى:

[23] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1/ 420)
[24] زاد المسير في علم التفسير (1/ 272)
[25] زاد المسير في علم التفسير (1/ 272)
[26] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (1/ 413)

{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (118) هَاأَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (119) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120)} [آل عمران: 118 - 120]

عن أبي الدهقانة قال: قيل لعمر بن الخطاب: إِنَّ هَهُنَا غُلَامًا مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ، حَافِظًا كَاتِبًا فَلَوِ اتَّخَذْتَهُ كَاتِبًا، وكَانَ نَصْرانِيًا، قال: فقال عمر: «قَدِ اتَّخَذْتُ إِذًا بِطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ». [27]

وعن مجاهد في قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا}، قال: في المنافقين من أهل المدينة. نهى الله عز وجل المؤمنين أن يتولَّوهم.[28]

وعن قتادة في قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا}، قال:" نهى الله عز وجل المؤمنين أن يستدخلوا المنافقين، أو يؤاخوهم، أو يتولوهم من دون المؤمنين".[29]

وعن الحسن البصري في قوله تعالى: {لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالا}، قال: هم المنافقون.[30]

وعن أبي عُبَيْدَة مَعْمَر بن المُثَنَّى في قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا}، قال: (البِطَانَة): الدخلاء من غيركم، (لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا) أي: شر.[31]

---

[27] رواه ابن أبي حاتم (4038) وابن أبي شيبة في مصنفه (25872) وابن شبة في تاريخ المدينة (2/ 694) والخلال في أحكام أهل الملل (327) والطبري في التاريخ (4/ 202)، وابن قتيبة في عيون الأخبار (1/ 103) من طريق أبي حيان التيمي عن أبي الزنباع عن أبي الدهقانة به، وذكره حكمت بن بشير في كتابه الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (1/ 455)، وقال: رجاله ثقات وإسناده صحيح.

[28] رواه الطبري (7681) وابن أبي حاتم (4034) وابن المنذر (842) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

[29] رواه الطبري (7682) وابن المنذر (844) من طريق سعيد بن أبي عروبة، وابن أبي حاتم (4035) من طريق شيبان بن عبد الرحمن، كلاهما عن قتادة.

[30] رواه ابن المنذر (845) من طريق المبارك عن الحسن.

[31] رواه ابن المنذر (846) عن علي بن عبد العزيز عن الأثرم عنه.

وقال ابن كثير:" يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي: يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالا أي: يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة، ويودون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم. وقوله: {لا تتخذوا بطانة من دونكم} أي: من غيركم من أهل الأديان، وبطانة الرجل: هم خاصة أهله الذين يطلعون على داخل أمره.
وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أيوب بن محمد الوزان، حدثنا عيسى بن يونس، عن أبي حيان التيمي عن أبي الزنباع، عن ابن أبي الدهقانة قال: قيل لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه: إن هاهنا غلاما من أهل الحيرة، حافظ كاتب، فلو اتخذته كاتبا؟ فقال: قد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين .[32]
ففي هذا الأثر مع هذه الآية دلالة على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة، التي فيها استطالة على المسلمين واطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب؛ ولهذا قال تعالى: {لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم}.[33]
قال القرطبي:" وقدم أبو موسى الأشعري على عمر رضي الله عنهما بحساب فرفعه إلى عمر فأعجبه، وجاء عمر كتاب فقال لأبي موسى: أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب على الناس؟ فقال: إنه لا يدخل المسجد. فقال لم! أجنب هو؟ قال: إنه نصراني، فانتهره وقال: لا تدنهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خونهم الله [34]، وعن عمر رضي الله عنه قال: لا تستعملوا أهل الكتاب فإنهم يستحلون الرشا، واستعينوا على أموركم وعلى رعيتكم بالذين يخشون الله تعالى [35] ، وقيل لعمر رضي الله عنه: إن هاهنا رجلا من نصارى الحيرة لا أحد أكتب منه ولا أخط بقلم أفلا يكتب عنك؟ فقال: لا اتخذ بطانة من دون المؤمنين.[36] فلا يجوز استكتاب أهل الذمة، ولا غير ذلك من تصرفاتهم في البيع والشراء والاستنابة إليهم. قلتُ – والكلام للقرطبي -: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان باتخاذ أهل الكتاب كتبة وأمناء وتسودوا بذلك عند الجهلة الأغبياء من الولاة والأمراء.[37]

---

[32] سبق تخريجه برقم 27
[33] تفسير ابن كثير ت سلامة (2/ 106)
[34] سيأتي تخريجه إن شاء الله برقم 54
[35] لم أقف عليه
[36] سبق تخريجه برقم 27
[37] تفسير القرطبي (4/ 179)

وقال ابن الجوزي:" وفي معنى محبة المؤمنين لهم أربعة أقوال: أحدها: أنها الميل إليهم بالطباع، لموضع القرابة والرضاع والحلف، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس. والثاني: أنها بمعنى الرحمة لهم، لما يفعلون من المعاصي التي يقابلها العذاب الشديد، وهذا المعنى منقول عن قتادة. والثالث: أنها لموضع إظهار المنافقين الإيمان، روي عن أبي العالية. والرابع: أنها بمعنى إرادة الإسلام لهم، وهم يريدون المسلمين على الكفر، وهذا قول المفضّل، والزجّاج". [38]

وقال ابن عطية:" وقوله وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتابِ كُلِّهِ يقتضي أن الآية في منافقي اليهود لا في منافقي العرب، ويعترضها أن منافقي اليهود لم يحفظ عنهم أنهم كانوا يؤمنون في الظاهر إيمانا مطلقا ويكفرون في الباطن، كما كان المنافقون من العرب يفعلون، إلا ما روي من أمر زيد بن الصيت القينقاعي فلم يبق إلا أن قولهم: آمَنَّا معناه: صدقنا أنه نبي مبعوث إليكم، أي فكونوا على دينكم ونحن أولياؤكم وإخوانكم ولا نضمر لكم إلا المودة، ولهذا كان بعض المؤمنين يتخذهم بطانة، وهذا منزع قد حفظ أن كثيرا من اليهود كان يذهب إليه، ويدل على هذا التأويل أن المعادل لقولهم آمَنَّا، «عض الأنامل من الغيظ»، وليس هو ما يقتضي الارتداد كما هو في قوله تعالى: {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ} [البقرة: 14]، بل هو ما يقتضي البغض وعدم المودة". [39]

{فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (88) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (89)} [النساء: 88، 89]

قال أبو جعفر الطبري: " يعني جل ثناؤه بقوله: {فما لكم في المنافقين فئتين}، فما شأنكم أيها المؤمنون في أهل النفاق فئتين مختلفتين، {والله أركسَهم بما كسبوا}، يعني بذلك: والله رَدّهم

---

[38] زاد المسير في علم التفسير (1/ 319)

[39] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1/ 497)

إلى أحكـام أهـل الشـرك، في إباحـة دمـائهم وسَـبْي ذراريهم. و"الإركاس"، الردُّ، ومنه قول أمية بن أبي الصلت:
فَأُرْكِسُوا فِي حَمِيمِ النَّارِ، إِنَّهُمُ ... كَانُوا عُصَاةً وَقَالُوا الإفْكَ وَالزُّورَا،
يقال منه: "أرْكَسهم" و "رَكَسَهم"، وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله وأبي: (وَاللَّهُ رَكَسَهُمْ) ، بغير "ألف". واختلف أهل التأويل في الذين نزلت فيهم هذه الآية". [40]
ثم ذكر الطبري روايات عديدة في سبب نزولها، وكـذلك فعـل ابن أبي حاتم في تفسيره، وغيرهم من المفسرين، وأشـهر مـا ذكـروه ثلاث روايات:
الأولى: ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَـرَجَ إِلَى أُحُـدٍ، فَرَجَـعَ نَـاسٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ، فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ فِـرْقَتَيْنِ، قَـالَ بَعْضُـهُمْ: نَقْتُلُهُمْ، وَقَـالَ بَعْضُـهُمْ: لَا، فَنَـزَلَتْ {فَمَـا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ} [النسـاء: 88]، زاد البخـاري: وَقَـالَ رَسُـولُ اللـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهَا طَيْبَةُ تَنْفِي الخَبَثَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ»[41]
وقال ابن كثـير في تفسـيره بعـدما أورد هـذا الحـديث:" وقـد ذكـر محمد بن إسحاق بن يسار في وقعـة أحـد أن عبـد اللـه بن أبي بن سلول رجع يومئـذ بثلث الجيش، رجـع بثلاثمائـة وبقي النـبي صـلى الله عليه وسلم في سبعمائة".[42]
الثانية: ما رواه أحمد في مسـنده عَنْ أَبِي سَـلَمَةَ بْنِ عَبْـدِ الـرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ عَبْـدِ الـرَّحْمَنِ بْنِ عَـوْفٍ ، أَنَّ قَوْمًـا مِنَ الْعَـرَبِ أَتَـوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَأَسْـلَمُوا، وَأَصَـابَهُمْ وَبَـاءُ بِالْمَدِينَةِ حُمَّاهَا فَأُرْكِسُوا، فَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَاسْـتَقْبَلَهُمْ نَفَـرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ - يَعْنِي أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - فَقَـالُوا لَهُمْ: مَا لَكُمْ رَجَعْتُمْ؟ قَالُوا: أَصَابَنَا وَبَاءُ الْمَدِينَةِ فَاجْتَوَيْنَا الْمَدِينَةَ. فَقَـالُوا: أَمَـا لَكُمْ فِي رَسُـولِ اللـهِ أُسْـوَةٌ؟ فَقَـالَ بَعْضُـهُمْ: نَـافَقُوا، وَقَـالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يُنَافِقُوا، هُمْ مُسْلِمُونَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَـلَّ: {فَمَـا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا} الْآيَةَ [النساء: 88]. [43]

[40] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (8/ 7) و(8/ 8)
[41] صحيح البخاري (4589) وصحيح مسلم (2776)
[42] تفسير ابن كثير ت سلامة (2/ 371)
[43] مسند أحمد ط الرسالة (1667)، قال الهيثمي: رواه أحمـد وفيـه ابن إسـحاق وهو مدلس، وأبو سلمة لم يسمع من أبيه. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (7/ 7) وقال السيوطي: سنده فيه انقطاع. الدر المنثور في التفسير بالمأثور (2/ 610)

الثالثة: عن مجاهد في قوله تعالى:{فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ} [النساء: 88] قَالَ: " هُمْ قَوْمٌ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُهَاجِرُونَ، ثُمَّ ارْتَدُّوا بَعْدَ ذَلِكَ، فَاسْتَأْذَنُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ لِيَأْتُوا بِبِضَائِعَ لَهُمْ يَتَّجِرُونَ فِيهَا ، فَاخْتَلَفَ فِيهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمْ مُؤْمِنُونَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُمْ مُنَافِقُونَ، فَبَيَّنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَالَهُمْ، وَأَمَرَ بِقِتَالِهِمْ، فَجَاءُوا بِبِضَائِعِهِمْ يُرِيدُونَ هِلَالَ بْنَ عُوَيْمِرٍ الْأَسْلَمِيَّ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِلْفٌ، وَهُوَ الَّذِي حَصِرَ صَدْرُهُ أَنْ يُقَاتِلَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ يُقَاتِلَ قَوْمَهُ , فَدَفَعَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ يَؤُمُّون هِلَالا، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدٌ ".[44]

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك، قول من قال: نزلت هذه الآية في اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوم كانوا ارتدُّوا عن الإسلام بعد إسلامهم من أهل مكة. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأنّ اختلاف أهل التأويل في ذلك إنما هو على قولين: أحدهما: أنهم قوم كانوا من أهل مكة، على ما قد ذكرنا الرواية عنهم. والآخر: أنهم قوم كانوا من أهل المدينة، وفي قول الله تعالى ذكره: { فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا}، أوضح الدّليل على أنهم كانوا من غير أهل المدينة. لأنّ الهجرة كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى داره ومدينته من سائر أرض الكفر. فأما من كان بالمدينة في دار الهجرة مقيمًا من المنافقين وأهل الشرك، فلم يكن عليه فرضُ هجرة، لأنه في دار الهجرة كان وطنُه ومُقامه".[45]

وقال ابن عطية: " وكل من قال في هذه الآية: إنها فيمن كان بالمدينة يرد عليه قوله: {حَتَّى يُهاجِرُوا}، لكنهم يخرجون المهاجرة إلى هجر ما نهى الله عنه، وترك الخلاف والنفاق، كما قال صلى الله عليه وسلم :" والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه" [46]. [47]

وقال محققو ط. الرسالة: إسناده ضعيف، محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح، إلا أن أبا سلمة لم يسمع من أبيه. وقد رواه ابن أبي حاتم (5742) من وجه آخر عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مرسلا، ليس فيه عن أبيه، وقال صاحب " الاستيعاب في بيان الأسباب " (1/ 443): سنده ضعيف؛ لإرساله، وجهالة أحد رواته وهو إسماعيل بن عبيد الله أبو سفيان. وقال ابن أبي حاتم عقبه: وروى عن الزهري والسدي نحو ذلك.

[44] رواه الطبري (10052) وابن أبي حاتم (5744) وابن المنذر (2083) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

[45] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (8/ 13)

[46] رواه البخاري في صحيحه (10) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

[47] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 88)

وقال القاسمي:" يظهر لي أن الأقرب في سبب نزول هذه الآيـات روايـة عبـد الـرحمن بن عـوف. كمـا يـدل عليـه سـبر هـذه الآيـات وتدبرها بصادق النظر والإمعان. وقول السيوطيّ: في إسناد روايــة عبد الـرحمن بن عـوف عنـد أحمـد تـدليس وانقطـاع. لا يقـدح في إصابتها كبد الحقيقة. لأنها وجدت فيها قرينة تلحقهـا بـالمقبول وهـو موافقتها لألفاظ الآية بلا تكلف. وحينئذ فقول زيد بن ثابت: فنزلت، فيما تقدم، بمعنى أنها تشمل ما وقع من المنخـزلين عن أحـد، ومـا جـرى من اختلاف المؤمـنين في شـأنهم، لا أنّ مـا وقـع كـان سـببا لنزولها. واستعمال النزول بـذلك معـروف كمـا بينـاه في المقدمـة. وإلا لأشكل قوله تعالى: {حَتَّى يُهاجِرُوا}. إذ لم تطلب المهاجرة إلا من النائين عن المدينة. وأولئك، أعني الذين انخزلوا عن المسلمين في أحد، كانوا بها. فيحتاج إلى جعل المهاجرة بمعنى خـروجهم مـع رسول الله صلى الله عليه وسـلم والمؤمـنين، صـابرين محتسـبين مخلصـين. كمـا قالـه بعض المفسـرين. وهـذا المعـنى لم يشـع في المهاجرة. ولأشـكل أيضـا قولـه تعـالى: {فَخُـذُوهُمْ وَاقْتُلُـوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}. فإنه يفيد بأنهم ليسوا من منافقي أهل المدينـة. وإنــه يتوقــع الظفــر بهم. وإلا فمنافقوهــا بين ظهــرانيهم ليلا ونهــارا. فالظاهر في هذا المقام رواية ابن عوف. وفي آخـر روايـة زيـد مـا يشعر بها حيث قـال: إنهـا طيبـة وإنهـا تنفي الخبث، إشـارة إلى أن المدينة نفت هؤلاء الذين نزحوا عنها بعد إسلامهم. والله أعلم". [48]

وقال تعـالى: {بَشِّـرِ الْمُنَـافِقِينَ بِـأَنَّ لَهُمْ عَـذَابًا أَلِيمًـا (138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُـؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُـونَ عِنْـدَهُمُ الْعِـزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (139)} [النساء: 138، 139]

قال شيخ الإسلام ابن تيميـة: " ولا يشـير على ولي المسـلمين بمـا فيـه إظهـار شـعائرهم – أي النصـارى - في بلاد الإسـلام، أو تقويـة أمرهم بوجه من الوجوه، إلا رجل منافقٌ، يظهر الإسلام، وهـو منهم في الباطن، أو رجلٌ لـه غـرضٌ فاسـدٌ، مثـل أن يكونـوا برطلـوه [49]، ودخلوا عليـه برغبـةٍ، أو رهبـةٍ، أو رجـلٌ جاهـلٌ في غايـة الجهـل، لا يعرف السياسة الشـرعية الإلهيـة الـتي تنصـر سـلطان المسـلمين على أعدائه، وأعداء الـدين. وإلا فمن كـان عارفـاً ناصـحاً لـه أشـار عليه بما يوجب نصره، وثباته، وتأييـده، واجتمـاع قلـوب المسـلمين عليه، وفتحهم له، ودعـاء النـاس لـه في مشـارق الأرض ومغاربهـا.

[48] تفسير القاسمي = محاسن التأويل (3/ 252) باختصار

[49] قال محقـق الكتـاب: (برطلـوه) أي رشـوه , وانظـر مـادة برطـل من القـاموس وشـرحه , وهـذه الكلمـة لا تـزال تسـتعمل في بعض الجهـات على هـذا المعـنى ونحوه.

وهذا كله إنما يكون بإعزاز دين الله، وإظهار كلمة الله، وإذلال أعداء الله تعالى.
وليعتبر المعتبر بسيرة نور الدين، وصلاح الدين، ثم العادل، كيف مكنهم الله، وأيدهم، وفتح لهم البلاد، وأذل لهم الأعداء، لما قاموا من ذلك بما قاموا به؟!
وليعتبر بسيرة من والى النصارى؛ كيف أذله الله، وكبته؟![50]

وقال تبارك وتعالى:
{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (142) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (143) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (144) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (146) مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)} [النساء: 142 - 147]
روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: {سُلْطَانًا مُبِينًا}، قال: كل سلطان في القرآن حُجَّةٌ.[51]
قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومحمد بن كعب والضحاك والسدي، والنضر بن عربي مثل ذلك.

قال أبو جعفر الطبري: وهذا نهي من الله عبادَه المؤمنين أن يتخلَّقوا بأخلاق المنافقين، الذين يتخذون الكافرين أولياءَ من دون المؤمنين، فيكونوا مثلهم في ركوب ما نهاهم عنه من موالاة أعدائه.[52]
وقال: { أتريدون}، أيها المتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ممن قد آمن بي وبرسولي، {أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا}، يقول: حجة، باتخاذكم الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فتستوجبوا منه ما استوجبه أهلُ النفاق الذين وصف لكم

[50] مسألة في الكنائس، ط. العبيكان (ص: 127)
[51] رواه ابن أبي حاتم (6151) من طريق ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس، ونقله عنه الحافظ ابن كثير، وقال: هذا إسناد صحيح. تفسير ابن كثير ت سلامة (2/ 441)
[52] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (9/ 336)

صفتهم، وأخبركم بمحلّهم عنده، {مبينًا}، يعني: يبين عن صحتها وحقيقتها. يقول: لا تعرَّضوا لغضب الله، بإيجابكم الحجة على أنفسكم في تقدمكم على ما نهاكم ربكم من موالاة أعدائه وأهلِ الكفر به".[53]

وقال عز وجل:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (53) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57)} [المائدة: 51 - 57]

عن عياض الأشعري، أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه وفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومعه كاتب نصراني , فأعجب عمر رضي الله عنه ما رأى من حفظه، فقال: " قل لكاتبك يقرأ لنا كتابا في المسجد جاء من الشام " فقال أبو موسى: إنه لا يستطيع أن يدخل المسجد، فقال عمر: أجنب هو؟ قال: لا، بل نصراني. قال: فانتهرني وضرب فخذي، وقال: ما لك؟ قاتلك الله! أما سمعت الله تبارك وتعالى، يقول: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}؟ ألا اتخذت حنيفا؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، لي كتابته وله دينه، فقال عمر: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله. وفي رواية: " لا تكرموهم إذ أهانهم الله، ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله، ولا تأتمنوهم إذ خونهم الله عز وجل ".[54]

---

[53] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (9/ 336)

[54] رواه ابن أبي حاتم (6510) والخلال في أحكام أهل الملل (328) والبيهقي في السنن الكبرى (18727) و(20409) وفي شعب الإيمان (8939) وابن زَبْرٍ

وعن محمد بن سيرين، قال: قال عبد اللـه بن عتبـة: ليتـق أحـدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشـعر، قـال محمـد: فظننـاه أنـه يريد هذه الآية {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَـارَى أَوْلِيَـاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}. [55]

وعن هارون بن إبراهيم قال: سُئل ابن سيرين عن رجـل يـبيع دارَه من نصارَى يتخذونها بِيعَةً، قال: فتلا هـذه الآيـة: {لَا تَتَّخِـذُوا الْيَهُـودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ}.[56]

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أما بعد، فإنه بلغـني أن في عملك كاتبا نصرانيا يتصرف في مصـالح الإسـلام، واللـه تعـالى يقول: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُـزُوًا وَلَعِبًـا مِنَ الَّذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَـاءَ وَاتَّقُـوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}، فإذا أتاك كتابي هـذا فـادع حسـان بن زيـد - يعـني: ذلك الكاتب - إلى الإسلام، فإن أسلم فهو منـا ونحن منـه، وإن أبى فلا تستعن به ولا تتخـذ أحـدا على غـير دين الإسـلام في شـيء من مصالح المسلمين، فأسلم حسان وحسن إسلامه.[57]

قال الطبري: القول في تأويل قوله عز ذِكره: {يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}: اختلف أهـل التأويـل في المعـنيِّ بهـذه الآيـة، وإن كـان مـأمورًا بـذلك جميـع المؤمنين. فقال بعضهم: عنى بذلك عبادة بن الصـامت، وعبـد اللـه بن أبي ابن سلول، في براءة عُبَادة من حلف اليهـود، وفي تمسـك

الرَبَعى في شروط النصارى (24) ولوين في جزء من حديثه (46) وعبـد اللـه بن أيوب المُخَرِّمي في جزء من حديثه، ضمن مجموع فيه مصـنفات أبي الحسـن ابن الحمامي وأجزاء حديثية أخرى (342ـ (9)، من طـرق عن سـماك بن حـرب عن عياض الأشعري به، وهذا المتن من مجموع الروايات، وتابع سماكَ بن حرب يزيـدُ بن أبي زياد عن عياض به، عند ابن قتيبة في عيون الأخبار (1⁄ 102). وأورد شيخ الإسلام ابن تيمية رواية الخلال في اقتضاء الصراط المستقيم (1ـ 184)، وقـال: إسناده صحيح.

وحسن إسناد هذا الأثر كذلك شيخنا الألباني في إرواء الغليل (8⁄ 255) (2630)، وحسنه أيضـا أبـو عبـد اللـه الـداني بن منـير آل زهـوي في كتابـه سلسـلة الآثـار الصحيحة أو الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين (2/ 283) (606)

[55] رواه ابن أبي حاتم (6511) من طريق ابن عون، والخلال في السنة (1603) من طريق سعيد بن عبد الرحمن، كلاهما عن ابن سيرين به،

وعبد الله بن عتبة بن مسعود هو فقيه الكوفة ومفتيها وقاضيها، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورآه. تهذيب الكمال في أسماء الرجال (15/ 269)

[56] رواه الطبري (12165)

[57] نقله عنه ابن القيم في أحكام أهل الذمة (1/ 459)

عبد الله بن أبي ابن سلول بحلف اليهود، بعد ما ظهرت عداوتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وأخبره الله أنه إذا تولاهم وتمسَّك بحلفهم، أنه منهم في براءته من الله ورسوله كَبرَاءتهم منهما.[58]

ثم ذكر الطبري ثلاث روايات مرسلة، عن عطية بن سعد العوفي والزهري و عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت[59]، تفيد هذا القول

ثم قال الطبري: " وقال آخرون: بل عُني بذلك قومٌ من المؤمنين كانوا هَمُّوا حين نالهم بأحُدٍ من أعدائهم من المشركين ما نالهم أن يأخذوا من اليهود عِصَمًا[60]، فنهاهم الله عن ذلك، وأعلمهم أنّ من فعل ذلك منهم فهو منهم".[61]

ثم ذكر الطبري رواية عن السدي[62] تفيد هذا القول

ثم قال الطبري: " وقال آخرون: بل عُني بذلك أبو لبابة بن عبد المنذر، في إعلامه بني قريظة إذ رَضُوا بحكم سعدٍ أنه الذَّبح".[63]

ثم روى عن عكرمة [64] ما يفيد هذا

ثم قال: " والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهَىَ المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارًا وحلفاءَ على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأخبر أنه من اتخذهم نصيرًا وحليفًا ووليًّا من دون الله ورسوله والمؤمنين، فإنه منهم في التحزُّب على الله وعلى رسوله والمؤمنين، وأن الله ورسوله منه بريئان. وقد يجوز أن تكون الآية نزلت في شأن عبادة بن

[58] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (10/ 395)

[59] رواها الطبري (12156) عن عطية بن سعد العوفي مرسلا ، ورجاله ثقات غير عطية ففيه ضعف، و(12157) عن الزهري مرسلا ، وراويها عن الزهري هو عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد وهو متروك، والطبري (12158) وابن أبي حاتم (6506)ـ من طريق ابن إسحاق قال، حدثني والدي إسحاق بن يسار، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت مرسلا.
وقال السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (3/ 99):
وأخرج ابن مردويه من طريق عبادة بن الوليد عن أبيه عن جده عن عبادة بن الصامت قال: في نزلت هذه الآية حين أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرأت إليه من حلف اليهود وظاهرت رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين عليهم.

[60] قال محمود شاكر في حاشيته على الطبري: "العِصَم" جمع "عصمة": وهي الحبال والعهود، تعصمهم وتمنعهم من الضياع.

[61] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (10/ 397)

[62] رواها الطبري (12159) وابن أبي حاتم (6507) عن السدي مرسلا

[63] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (10/ 398)

[64] رواها الطبري (12160) من طريق ابن جريج عن عكرمة مرسلا

الصامت وعبد الله بن أبي ابن سلول وحلفائهما من اليهود، ويجــوز أن تكون نزلت في أبي لبابة بسبب فعله في بــني قريظــة، ويجــوز أن تكون نزلت في شأن الرَّجلين اللــذين ذكــر الســدي أن أحــدَهما همَّ باللحــاق بــذلك اليهــودي، والآخــر بنصــرانيّ بالشــأم، ولم يصــحّ بواحدٍ من هذه الأقوال الثلاثة خبرٌ تثبت بمثله حجة، فيسلّم لصــحته القولُ بأنه كما قيل. فإذْ كان ذلك كذلك، فالصواب أن يحكم لظاهر التنزيل بالعموم على ما عمَّ، ويجوز ما قالــه أهــل التأويــل فيــه من القول الذي لا علم عندنا بخلافه. غير أنه لا شك أن الآية نــزلت في منــافق كــان يــوالي يهــودًا أو نصــارى خوفًــا على نفســه من دوائــر الدهر، لأن الآية التي بعد هذه تدلّ على ذلك، وذلــك قولــه: {فَتَـرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَــى أَنْ تُصِــيبَنَا دَائِرَةٌ} الآية.

وأما قوله: {بعضهم أولياء بعض}، فإنه عنى بذلك: أن بعض اليهــود أنصــار بعضــهم على المؤمــنين، ويــد واحــدة على جميعهم، وأن النصارى كذلك، بعضهم أنصار بعض على من خــالف دينهم وملتهم، معرِّفًا بذلك عباده المؤمنين: أنّ من كان لهم أو لبعضهم وليًّا، فإنما هو وليهُّم على من خالف ملتهم ودينهم من المؤمــنين، كمــا اليهــود والنصارى لهم حَرْب. فقال تعالى ذكره للمؤمنين: فكونوا أنتم أيضًا بعضكم أولياء بعض، ولليهوديّ والنصراني حربًا كما هم لكم حــرب، وبعضــهم لبعض أوليــاء، لأن من والاهم فقــد أظهــر لأهــل الإيمــان الحربَ، ومنهم البراءة، وأبان قطع وَلايتهم. [65]

ثم ذكر الطبري القول في تأويــل قولــه عــز ذكــره: {وَمَنْ يَتَـوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}، قــال: يعــني تعــالى ذكــره بقولــه: {ومن يتــولهم منكم فإنه منهم}، ومن يتولَّ اليهود والنصارى دون المؤمنين، فإنــه منهم. يقول: فإن من تولاهم ونصرَهم على المؤمنين، فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحدًا إلا وهــو بــه وبدينــه ومــا هــو عليه راضٍ. وإذا رضيه ورضي دينَه، فقد عادى مــا خالفــه وسَخِطه، وصار حكُمه حُكمَه. [66]

ثم قــال: القــول في تأويــل قولــه: {إِنَّ اللَّهَ لا يَهْــدِي الْقَــوْمَ الظَّالِمِينَ}، يعــني تعــالى ذكــره بــذلك: إن اللــه لا يوفِّق من وضــع الولاية في غير موضعها، فوالى اليهود والنصارى، مع عداوتهم اللــه ورسوله والمؤمنين، على المؤمنين، وكان لهم ظهيًــرا ونصــيرًا، لأن من تولاهم فهــو للــه ولرســوله وللمؤمــنين حَـرْبٌ. وقــد بينــا معــنى

[65] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (10/ 398)
[66] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (10/ 400)

"الظلم" في غير هذا الموضع، وأنه وضع الشيء في غير موضعه، بما أغنى عن إعادته.[67]
ثم قال: القول في تأويل قوله: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ}: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن ذلك من الله خبر عن ناس من المنافقين كانوا يوالون اليهودَ والنصارى ويغشُّون المؤمنين، ويقولون: نخشى أن تدور دوائر، إما لليهود والنصارى، وإما لأهل الشرك من عبدة الأوثان، أو غيرهم على أهل الإسلام، أو تنزل بهؤلاء المنافقين نازلةٌ، فيكون بنا إليهم حاجة.
وقد يجوز أن يكون ذلك كان من قول عبد الله بن أبي، ويجوز أن يكون كان من قول غيره، غير أنه لا شك أنه من قول المنافقين.
فتأويل الكلام إذًا: فترى، يا محمد، الذين في قلوبهم شكٌّ ومرضُ إيمانٍ بنبوّتك وتصديق ما جئتهم به من عند ربك {يسارعون فيهم}، يعني في اليهود والنصارى، ويعني بمسارعتهم فيهم: مسارعتهم في مُوالاتهم ومصانعتهم {يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة}، يقول هؤلاء المنافقون: إنما نسارع في موالاة هؤلاء اليهود والنصارى، خوفًا من دائرة تدور علينا من عدوّنا. ويعني ب"الدائرة"، الدولة، كما قال الراجز:
تَرُدُّ عَنْكَ القَدَرَ المَقْدُورَا ... وَدَائِرَاتِ الدَّهْرِ أَنْ تَدُورَا
يعني: أن تدول للدهر دولة، فنحتاج إلى نصرتهم إيانا، فنحن نواليهم لذلك. فقال الله تعالى ذكره لهم: {فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين}.[68]
ثم قال: القول في تأويل قوله: {فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ} يعني تعالى ذكره بقوله: {فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده}، فلعل الله أن يأتي بالفتح، و"الفتح" في، كلام العرب، هو القضاء، كما قال قتادة، ومنه قول الله تعالى ذكره: {رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ} [الأعراف: 89]، وقد يجوز أن يكون ذلك القضاء الذي وعدَ الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بقوله: {فعسى الله أن يأتي بالفتح} فتح، مكة، لأن ذلك كان من عظيم قضاءِ الله، وفَصْل حُكمه بين أهل الإيمان والكفر، ومقرِّرًا عند أهل الكفر والنفاق، أن الله معلي كلمته وموهن كيد الكافرين.
وقد يحتمل أن يكون "الأمر" الذي وعد الله نبيه محمدًا صلى الله

[67] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (10/ 402)
[68] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (10/ 404)

عليه وسلم أن يأتي به هو الجزية، ويحتمل أن يكون غيرها. غير أنه أيّ ذلك كان، فهو مما فيه إدالة المؤمنين على أهل الكفر بالله وبرسوله، ومما يسوء المنافقين ولا يسرُّهم. وذلك أن الله تعالى ذكره قد أخبر عنهم أنّ ذلك الأمر إذا جاء، أصبحوا على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين.

وأما قوله: {فيصبحوا على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين}، فإنه يعني هؤلاء المنافقين الذين كانوا يوالون اليهود والنصارى. يقول تعالى ذكره: لعل الله أن يأتي بأمرٍ من عنده يُديل به المؤمنين على الكافرين من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر، فيصبح هؤلاء المنافقون على ما أسرُّوا في أنفسهم من مخالّة اليهود والنصارى ومودّتهم، وبغْضَة المؤمنين ومُحَادّتهم، "نادمين". فتأويل الكلام: فيصبحوا على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين، ويقولُ المؤمنون: أهؤلاء الذين حَلَفوا لنا بالله جهد أيمانهم كَذِبًا إنهم لمعنا؟ يقول الله تعالى ذكره، مخبرًا عن حالهم عنده بنفاقهم وخبث أعمالهم: {حبطت أعمالهم}، يقول: ذهبت أعمالهم التي عملوها في الدنيا باطلا لا ثواب لها ولا أجر، لأنهم عملوها على غير يقين منهم بأنها عليهم لله فرضٌ واجب، ولا على صِحّة إيمان بالله ورسوله، وإنما كانوا يعملونها ليدفعوا المؤمنين بها عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم، فأحبط الله أجرَها، إذ لم تكن له {فأصبحوا خاسرين}، يقول: فأصبح هؤلاء المنافقون، عند مجيء أمر الله بإدالة المؤمنين على أهل الكفر، قد وُكِسوا في شرائهم الدنيا بالآخرة، وخابت صفقتهم، وهَلَكوا. [69]

ثم قال الطبري: القول في تأويل قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله وبرسوله: {يا أيها الذين آمنوا}، أي: صدّقوا لله ورسوله، وأقرُّوا بما جاءهم به نبيُّهم محمد صلى الله عليه وسلم {من يرتد منكم عن دينه}، يقول: من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه اليوم، فيبدِّله ويغيره بدخوله في الكفر، إما في اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من صنوف الكفر، فلن يضر الله شيئا، وسيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، يقول: فسوف يجيء الله بدلا منهم، المؤمنين الذين لم يبدِّلوا ولم يغيروا ولم يرتدوا، بقومٍ خير من الذين ارتدُّوا وابدَّلوا دينهم، يحبهم الله ويحبون الله. وكان هذا الوعيد من الله لمن سبق في علمه أنه سيرتدُّ بعد وفاةِ نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم. وكذلك وعدُه من وعدَ من المؤمنين ما وعدَه في هذه الآية، لمن سبق له في

[69] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (10/ 405)

علمه أنه لا يبدّل ولا يغير دينه، ولا يرتدّ. فلما قَبَض الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم، ارتدّ أقوام من أهل الوبَرِ، وبعضُ أهل المَدَر، فأبدل الله المؤمنين بخيرٍ منهم كما قال تعالى ذكره، ووفى للمؤمنين بوعده، وأنفذ فيمن ارتدَّ منهم وعيدَه.[70]

ثم قال: القول في تأويل قوله: {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} يعني تعالى ذكره بقوله: "أذِلة على المؤمنين"، أرقَّاء عليهم، رحماءَ بهم، من قول القائل: "ذلَّ فلان لفلان". إذا خضع له واستكان. ويعني بقوله: "أعزة على الكافرين"، أشداء عليهم، غُلَظاء بهم، من قول القائل: "قد عزّني فلان"، إذا أظهر العزة من نفسه له، وأبدى له الجفوة والغِلْظة.[71]

ثم قال: القول في تأويل قوله: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} يعني تعالى ذكره بقوله: {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا}، ليس لكم، أيها المؤمنون، ناصر إلا الله ورسوله، والمؤمنون الذين صفتهم ما ذكر تعالى ذكره، فأما اليهود والنصارى الذين أمركم الله أن تبرأوا من وَلايتهم، ونهاكم أن تتخذوا منهم أولياء، فليسوا لكم أولياء ولا نُصرَاء، بل بعضهم أولياء بعض، ولا تتخذوا منهم وليًّا ولا نصيرًا.[72]

ثم قال: القول في تأويل قوله: {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} وهذا إعلامٌ من الله تعالى ذكره عبادَه جميعًا الذين تبرأوا من حلف اليهود وخلعوهم رضًى بولاية الله ورسوله والمؤمنين، والذين تمسكوا بحلفهم وخافوا دوائر السوء تدور عليهم، فسارعوا إلى موالاتهم أنّ مَن وثق بالله وتولى الله ورسوله والمؤمنين، ومن كان على مثل حاله من أولياء الله من المؤمنين، لهم الغلبة والدوائر والدولة على من عاداهم وحادّهم، لأنهم حزب الله، وحزبُ الله هم الغالبون، دون حزب الشيطان.[73]

ثم قال: القول في تأويل قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: {يا أيها الذين آمنوا}، أي: صدقوا الله ورسوله {لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هُزوًا ولعبًا من

[70] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (10/ 409)
[71] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (10/ 421)
[72] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (10/ 424)
[73] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (10/ 427)

الـذين أوتـوا الكتـاب من قبلكم}، يعـني اليهـود والنصـارى الـذين جاءتهم الرسل والأنبيـاء، وأنـزلت عليهم الكتب من قبـل بَعْث نبينـا صلى الله عليه وسلم، ومن قبـل نـزول كتابنـا {أوليـاء}، يقـول: لا تتخـذوهم، أيهـا المؤمنـون، أنصـارًا أو إخوانًـا أو حُلفـاء، فـإنهم لا يألونكم خَبَالا وإن أظهروا لكم مودّة وصداقة.
وأمّا {الكفار} الذين ذكرهم الله تعالى ذكره في قوله: "من الـذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء"، فإنهم المشركون من عبدة الأوثان. نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من أهـل الكتـاب ومن عبـدة الأوثان وسائر أهل الكفـر، أوليـاءَ دون المؤمـنين. واختلفت القـرأة في قراءة ذلك. فقرأته جماعة من أهل الحجاز والبصـرة والكوفـة: {وَالْكُفَّارِ أَوْلِيَاءَ} بخفض {الكفار}، بمعـنى: يـا أيهـا الـذين آمنـوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من الـذين أوتـوا الكتـاب من قبلكم، ومن الكفـارِ، أوليـاءَ. وكـذلك ذلـك في قـراءة أبيّ بن كعب فيما بلغنا: (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الكفـار أوليـاء). وقـرأ ذلـك عامـة قـرأة أهـل المدينـة والكوفـة: {وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَـاءَ} بالنصب، بمعنى: يا أيها الذين آمنـوا لا تتخـذوا الـذين اتخـذوا دينكم هـزوًا ولعبًـا والكفـارَ، عطفًـا بــ {الكفـار} على {الـذين اتخـذوا}. والصـواب من القـول في ذلـك أن يقـال: إنهمـا قراءتـان متفقتـا المعنى، صحيحتا المخـرج، قـد قـرأ بكـل واحـدة منهمـا علمـاء من القرأة، فبأي ذلك قرأ القارئ فقد أصاب. لأن النهيَ عن اتخـاذ ولي من الكفـــار، نهيٌ عن اتخـــاذ جميعهم أوليـــاء. والنهي عن اتخـــاذ جميعهم أولياء، نهيٌ عن اتخاذ بعضهم وليًّا. وذلـك أنـه غـير مشـكل على أحدٍ من أهل الإسلام أنّ الله تعالى ذكـره إذا حـرّم اتخـاذ وليّ من المشركين على المؤمنين، أنه لم يبح لهم اتخاذ جميعهم أولياء، ولا إذا حرَّم اتخاذ جميعهم أولياء، أنه لم يخصص إباحة اتخاذ بعضهم وليًّا. [74]

قال ابن عطيـة:" نهى اللـه تعـالى المؤمـنين بهـذه الآيـة عن اتخـاذ اليهود والنصارى أولياء في النصرة والخلطة المؤديـة إلى الامـتزاج والمعاضدة. وحكم هـذه الآيـة بـاق. وكـل من أكـثر مخالطـة هـذين الصنفين فله حظه من هذا المقت الـذي تضـمنه قولـه تعـالى: فَإِنَّهُ مِنْهُمْ، وأما معاملة اليهودي والنصراني من غير مخالطة ولا ملابسة فلا تدخل في النهي، وقد عامل رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم يهوديا ورهنه درعه. [75]

[74] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (10/ 428)
[75] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 203)

وقال: " وقوله تعـالى: {وَمَنْ يَتَـوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} إنحـاء على عبد الله بن أبيّ وكل من اتصـف بهـذه الصـفة من مـوالاتهم، ومن تـولاهم بمعتقـده ودينـه فهـو منهم في الكفـر واسـتحقاق النقمـة والخلـود في النـار، ومن تـولاهم بأفعالـه من العضـد ونحـوه دون معتقـد ولا إخلال بإيمـان فهـو منهم في المقت والمذمـة الواقعـة عليهم وعليه".[76]

وقال: " وفعـل عبـد اللـه بن أبيّ في هـذه النازلـة لم يكن ظـاهره مغالبة رسول الله صلى الله عليـه وسـلم، ولـو فعـل ذلـك لحاربـه رسـول اللـه، وإنمـا كـان يظهـر للنبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم أن يسـتبقيهم لنصـرة محمـد ولأن ذلـك هـو الـرأي، وقولـه إني امـرؤ أخشى الدوائر أي من العرب وممن يحارب المدينـة وأهلهـا، وكـان يبطن في ذلـــك كلـــه التحـــرز من النـــبي والمؤمـــنين والفت في أعضادهم، وذلك هو الذي أسر هو في نفسه ومن معـه على نفاقـه ممن يفتضـح بعضـهم إلى بعض، وقولـه تبـارك وتعـالى: {فَعَسَـى اللَّهُ} مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ووعد لهم، و «عسى» من الله واجبة، واختلف المتـأولون في معـنى بِـالْفَتْحِ في هذه الآية فقال قتادة: يعني بـه القضـاء في هـذه النـوازل، والفتـاح القاضـي، فكـان هـذا الوعـد هـو ممـا نـزل ببـني قينقـاع بعـد ذلـك وبقريظة والنضير، وقال السدي: يعني به فتح مكـة، وظـاهر الفتح في هذه الآية ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلو كلمتـه، أي فيبدو الاستغناء عن اليهود ويرى المنافق أن الله لم يوجد سبيلا إلى ما كان يؤمل فيهم من المعونة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم والدفع في صدر نبوته فينـدم حينئـذ على مـا حصـل فيـه من محادة الشرع، وتجلل ثوب المقت من الله تعالى ومن رسوله عليه السلام والمؤمنين كالذي وقع وظهر بعد، وقوله تعالى:{أَوْ أَمْـرٍ مِنْ عِنْدِهِ} قال السدي المراد ضرب الجزية، ويظهـر أن هـذا التقسـيم إنمـا هـو لأن الفتح الموعـود بـه هـو مـا يـتركب على سـعي النـبي وأصـحابه ويسـببه جـدهم وعملهم، فوعـد اللـه تعـالى إمـا بفتح بمقتضى تلك الأفعال وإما بأمر من عنـده يهلـك أعـداء الشـرع هـو أيضا فتح لا يقع للبشر فيه تسبيب". [77]

قال ابن عطية: " وذهب كثير من المفسرين إلى أن هذا القول من المؤمنين إنما هو إذا جاء الفتح حصلت ندامـة المنـافقين وفضـحهم الله تعالى، فحينئذ يقول المؤمنون {أَهـؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَـمُوا} الآيـة. وتحتمل الآية أن تكون حكاية لقول المؤمنين في وقت قـول الـذين

[76] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 204)
[77] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 205)

في قلوبهم مرض {نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ} وعند أفعالهم ما فعلوا في حكاية بني قينقاع. فظهر فيها سرهم وفهم منهم أن تمسكهم بهم إنما هو إرصاد لله ولرسوله. فمقتهم النبي والمؤمنون، وترك النبي صلى الله عليه وسلم بني قينقاع لعبد الله بن أبيّ رغبة في المصلحة والألفة، وبحكم إظهار عبد الله أن ذلك هو الرأي من نفسه وأن الدوائر التي يخاف إنما هي ما يخرب المدينة وعلم المؤمنون وكل فطن أن عبد الله في ذلك بخلاف ما أبدى. فصار ذلك موطنا يحسن أن يقول فيه المؤمنون {أَهؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا} الآية، وأما قراءة أبي عمرو "ويقول" بنصب اللام، فلا يتجه معها أن يكون قول المؤمنين إلا عند الفتح وظهور ندامة المنافقين وفضيحتهم.[78]

وقال: " ثم نهى الله تعالى المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، فوسمهم بوسم يحمل النفوس على تجنبهم، وذلك اتخاذهم دين المؤمنين هُزُواً وَلَعِباً والهزء السخرية والازدراء، ثم بين تعالى جنس هؤلاء أنهم من أهل الكتاب اليهود والنصارى، واختلف القراء في إعراب الْكُفَّارَ فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة: «والكفار» نصبا، وقرأ أبو عمرو والكسائي «والكفار» خفضا، وروى حسين الجعفي عن أبي عمرو النصب، قال أبو علي: حجة من قرأ بالخفض حمل الكلام على أقرب العاملين وهي لغة التنزيل. ويدخل «الكفار» على قراءة الخفض فيمن اتخذ دين المؤمنين هزؤا، وقد ثبت استهزاء الكفار في قوله: {إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ}[الحجر: 95]، وثبت استهزاء أهل الكتاب في لفظ هذه الآية، وثبت استهزاء المنافقين في قولهم لشياطينهم {إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ} [البقرة: 14] ، ومن قرأ «الكفار» بالنصب حمل على الفعل الذي هو لا تَتَّخِذُوا، ويخرج الكفار من أن يتضمن لفظ هذه الآية استهزاءهم، وقرأ أبيّ بن كعب «ومن الكفار» بزيادة «من» فهذه تؤيد قراءة الخفض، وكذلك في قراءة ابن مسعود «من قبلكم من الذي أشركوا» ، وفرقت الآية بين الكفار وبين الذين أوتوا الكتاب من حيث الغلب في اسم الكفار أن يقع على المشركين بالله إشراك عبادة أوثان، لأنهم أبعد شأوا في الكفر، وقد قال تعالى: {جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ} [التوبة: 73] ففرق بينهم إرادة البيان، والجمع كفار، وكان هذا لأن عباد الأوثان هم كفار من كل جهة، وهذه الفرق تلحق بهم في حكم الكفر وتخالفهم في رتب، فأهل الكتاب يؤمنون بالله وببعض الأنبياء،

78 تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 206)

والمنافقون بألسنتهم، ثم أمر تعالى بتقواه ونبه النفوس بقوله: {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أي حق مؤمنين}.[79]
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وهذه الآيات العزيزة فيها عبرة لأولي الألباب. فإن الله تعالى أنزلها بسبب أنه كان بالمدينة النبوية من أهل الذمة من كان له عز وسَعة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أقوام من المسلمين عندهم ضعف يقين وإيمان، وفيهم منافقون يُظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، مثل عبد الله بن أبي رأس المنافقين، وأمثاله، وكانوا يخافون أن تكون للكفار دولةٌ، فكانوا يوالونهم، ويباطنونهم {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} أي نفاقٌ وضعف إيمان، {يُسَارِعُونَ فِيهِمْ}، أي في معاونتهم.{يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ} ، فقال الله تعالى: {فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ} ، أي هؤلاء المنافقين الذين يوالون أهل الذمة {عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ} .
فقد عرف أهل الخبرة أن أهل الذمة من اليهود والنصارى، والمنافقين يكاتبون أهل دينهم بأخبار المسلمين، وبما يطلعون على ذلك من أسرارهم حتى أخذ جماعة من المسلمين في بلاد التتر، وسيس [80] وغير ذلك بمطالعة أهل الذمة لأهل دينهم. ومن الأبيات المشهورة قول بعضهم:
كل العداوات قد ترجى مودتها ... إلا عداوة من عاداك في الدين،
ولهذا وغيره مُنعوا أن يكونوا على ولاية المسلمين, أو على مصلحة من يقويهم, أو يفضل عليهم في الخبرة والأمانة من المسلمين, بل استعمال من هو دونهم في الكفاية أنفعُ للمسلمين في دينهم ودنياهم .والقليل من الحلال يُبارَك فيه, والحرامُ الكثير يذهب, ويمحقه الله تعالى، والله أعلم. [81]
وقال ابن كثير: ينهى تعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى، الذين هم أعداء الإسلام وأهله، قاتلهم الله، ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض، ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك فقال: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}.[82]

[79] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 209)
[80] قال محقق الكتاب: (سيس) بلدة في تركيا في جنوبها, وفي شرق مدينة أضنة , كانت عاصمة أرمينية الصغرى , فتحها المسلمون قديماً , ثم فتحها المماليك , ثم العثمانيون.
[81] مسألة في الكنائس، ط. العبيكان (ص: 131)
[82] تفسير ابن كثير ت سلامة (3/ 132)

وقال الشوكاني: " والمراد من النهي عن اتخاذهم أولياء أن يعاملوا معاملة الأولياء في المصادقة والمعاشرة والمناصرة. وقوله: {بعضهم أولياء بعض} تعليل للنهي، والمعنى: أن بعض اليهود أولياء البعض الآخر منهم، وبعض النصارى أولياء البعض الآخر منهم، وليس المراد بالبعض إحدى طائفتي اليهود والنصارى، وبالبعض الآخر الطائفة الأخرى للقطع بأنهم في غاية من العداوة والشقاق {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ} [البقرة: 113] وقيل: المراد أن كل واحدة من الطائفتين توالي الأخرى وتعاضدها وتناصرها على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وعداوة ما جاء به وإن كانوا في ذات بينهم متعادين متضادين.

ووجه تعليل النهي بهذه الجملة أنها تقتضي أن هذه الموالاة هي شأن هؤلاء الكفار لا شأنكم، فلا تفعلوا ما هو من فعلهم فتكونوا مثلهم، ولهذا عقب هذه الجملة التعليلية بما هو كالنتيجة لها فقال: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم} أي فإنه من جملتهم وفي عدادهم، وهو وعيد شديد فإن المعصية الموجبة للكفر هي التي قد بلغت إلى غاية ليس وراءها غاية".[83]

وقال القاسمي في قوله تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ، ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ، وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ}

لما نهى تعالى- فيما سلف- عن مولاة اليهود والنصارى، وبيّن أنّ موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين بقوله: فَإِنَّهُ مِنْهُمْ وقوله: حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ- شرع في بيان حال المرتدين على الإطلاق.

ونوّه بقدرته العظيمة. فأعلم أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته، فإن الله سيستبدل به من هو خير لها منه، وأشدّ منعة، وأقوم سبيلا. كما قال تعالى: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد: 38]. وقال تعالى: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ} [النساء: 133]. {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (17)} [فاطر: 16، 17]. أي: بممتنع ولا صعب.[84]

وقال الشنقيطي:

قوله تعالى: {ومن يتولهم منكم فإنه منهم} ذكر في هذه الآية الكريمة، أن من تولى اليهود والنصارى من المسلمين، فإنه يكون

---

[83] فتح القدير للشوكاني (2/ 57)

[84] تفسير القاسمي = محاسن التأويل (4/ 168)

منهم بتوليه إياهم، وبين في موضع آخر أن توليهم موجب لسخط الله، والخلود في عذابه، وأن متوليهم لو كان مؤمنا ما تولاهم، وهو قوله تعالى: {تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (80) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (81)} [المائدة: 80، 81] ونهى في موضع آخر عن توليهم مبينا سبب التنفير منه ; وهو قوله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} [الممتحنة: 13] .

وبين في موضع آخر: أن محل ذلك، فيما إذا لم تكن الموالاة بسبب خوف، وتقية، وإن كانت بسبب ذلك فصاحبها معذور، وهو قوله تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً } [آل عمران: 28]، فهذه الآية الكريمة فيها بيان لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقا وإيضاح ; لأن محل ذلك في حالة الاختيار، وأما عند الخوف والتقية، فيرخص في موالاتهم، بقدر المداراة التي يكتفي بها شرهم، ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة:

ومن يأتي الأمور على اضطرار ... فليس كمثل آتيها اختيارا

ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمدا اختيارا، رغبة فيهم أنه كافر مثلهم.[85]

وقال سبحانه وتعالى:

{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (80) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (81)} [المائدة: 78 - 81]

وقال تبارك وتعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

[85] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (1/ 412)

مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73)} [الأنفال: 72، 73]

قال ابن كثير رحمه الله: ومعنى قوله تعالى: {إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير} أي: إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمن بالكافر، فيقع بين الناس فساد منتشر طويل عريض.[86]
وقال الشوكاني:" قوله: {إلا تفعلوه} الضمير يرجع إلى ما أمروا به قبل هذا، من موالاة المؤمنين، ومناصرتهم على التفصيل المذكور، وترك موالاة الكافرين، {تكن فتنة في الأرض} أي: تقع فتنة إن لم تفعلوا ذلك، {وفساد كبير} أي: مفسدة كبيرة في الدين والدنيا". [87]
وقال القاسمي: " وقوله تعالى: {إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ} أي إلا تفعلوا ما أمرتكم به من التواصل، وتولّي بعضكم بعضا، ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار، تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة، لأن المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك، كان الشرك ظاهرا، والفساد زائدا، في الاعتقادات والأعمال". [88]
وقال تبارك وتعالى:
{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (16)} [التوبة: 16]

قال الطبري: {وليجة} هو الشيء يدخل في آخر غيره، يقالُ منه:" وَلَجَ فُلَانٌ فِي كَذَا، يَلِجُهُ، فَهُوَ وَلِيجَةٌ"، وإنما عنى بها في هذا الموضع: البطانة من المشركين. نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من عدوهم من المشركين أولياء، يفشون إليهم أسرارهم، {والله خبير بما تعملون}، يقول: والله ذو خبرة بما تعملون، من اتخاذكم من دون الله ودون رسوله والمؤمنين به أولياءَ وبطانةً، بعد ما قد نهاكم عنه، لا يخفى ذلك عليه، ولا غيره من أعمالكم، والله مجازيكم على ذلك، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا.[89]

---
[86] تفسير ابن كثير ت سلامة (4/ 98)
[87] فتح القدير للشوكاني (2/ 376)
[88] تفسير القاسمي = محاسن التأويل (5/ 335)
[89] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (14/ 163)

وقال ابن الجوزي:" فأما الوليجة، فقال ابن قتيبة: هي البطانة من غير المسلمين، وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخيلاً من المشركين وخليطاً ووادّاً، وأصله من الولوج. قال أبو عبيدة: وكل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم".[90]

وقال سبحانه وتعالى:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (23) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)} [التوبة: 23، 24]

وقال عز من قائل:

{الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (68)} [التوبة: 67، 68]

ثم قال بعدها:

{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)} [التوبة: 71، 72]

وقال سبحانه:

{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (113)} [هود: 113]

وقال تعالى:

{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (19)} [الجاثية: 18، 19]

وقال تبارك وتعالى:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ} [الممتحنة: 1]

90 زاد المسير في علم التفسير (2/ 242)

ثم قال:
{قَـدْ كَـانَتْ لَكُمْ أُسْـوَةٌ حَسَـنَةٌ فِي إِبْـرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَـهُ إِذْ قَـالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُـرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُـدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَـا بِكُمْ وَبَـدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُـوا بِاللَّهِ وَحْـدَهُ إِلَّا قَـوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَـا أَمْلِـكُ لَـكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَـيْءٍ رَبَّنَـا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (4) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَـا فِتْنَـةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (5) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِـرَ وَمَنْ يَتَـوَلَّ فَـإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (6) عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (7)} [الممتحنة: 4، 7]
قال الحافظ ابن كثير:
وقوله: {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ} أي: لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها، إلا في استغفار إبراهيم لأبيه، فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. وذلـك أن بعض المؤمـنين كـانوا يـدعون لآبـائهم الـذين مـاتوا على الشرك ويستغفرون لهم، ويقولون: إن إبراهيم كان يسـتغفر لأبيـه، فأنزل الله، عز وجـل: {مَـا كَـانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُـوا أَنْ يَسْـتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَـا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْـحَابُ الْجَحِيمِ (113) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَـهُ أَنَّهُ عَـدُوٌّ لِلَّهِ تَبَـرَّأَ مِنْـهُ إِنَّ إِبْـرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} [التوبة: 113، 114]. وقـال تعـالى فـي هـذه الآيـة الكريمـة: {قَـدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَـنَةٌ فِي إِبْـرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَـهُ} إلى قولـه: {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَـيْءٍ} أي: ليس لكم في ذلك أسوة، أي: في الاستغفار للمشركين، هكـذا قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل، والضحاك وغير واحد. ثم قال تعالى مخبرا عن قول إبراهيم والذين معه، حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم، فلجئوا إلى الله وتضـرعوا إليـه فقـالوا: {رَبَّنَـا عَلَيْـكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} أي: توكلنا عليك في جميع الأمور، وسلمنا أمورنا إليك، وفوضناها إليـك {وَإِلَيْـكَ الْمَصِـيرُ} أي: المعـاد في الدار الآخرة. {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَـرُوا}، قـال مجاهـد: معناه: لا تعـذبنا بأيـديهم، ولا بعـذاب من عنـدك، فيقولـوا: لـو كـان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا. وكذا قال الضـحاك. وقـال قتـادة لا تظهرهم علينا فيفتتنوا بذلك، يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحــق هم عليه. واختاره ابن جرير. [91]

---
[91] تفسير ابن كثير ت سلامة (8/ 87)

وروى ابن أبي حاتم عن ابن شهاب الزهري أن رسـول اللـه صـلى الله عليـه وسـلم اسـتعمل أبـا سـفيان بن حـرب على بعض اليمن، فلما قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أقبـل فلقي ذا الخمـار مرتدا، فقاتله، فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين. قال ابن شهاب: وهو ممن أنزل الله فيـه: {عَسَـى اللَّهُ أَنْ يَجْعَـلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.[92]

وقال الطبري: القول في تأويل قوله تعالى: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَـلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} يقول تعالى ذكره: عسى الله أيهـا المؤمنـون أن يجعـل بينكم وبين الذين عاديتم من أعـدائي من مشـركي قـريش مـودّة، ففعـل اللـه ذلك بهم، بأن أسلم كثير منهم، فصاروا لهم أولياء وأحزابًـا. وقولـه: {وَاللَّهُ قَـدِيرٌ} يقـول: واللــه ذو قــدرة على أن يجعــل بينكم وبين الذين عاديتم من المشركين مودّة {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} يقول: والله غفور لخطيئة من ألقى إلى المشركين بالمودّة إذا تاب منهـا، رحيم بهم أن يعذّبهم بعد توبتهم منها.[93]

ثم قال سبحانه:

{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَـارِكُمْ أَنْ تَبَـرُّوهُمْ وَتُقْسِـطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِـطِينَ (8) إِنَّمَـا يَنْهَـاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَـاتَلُوكُمْ فِي الــدِّينِ وَأَخْرَجُـوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَـوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9)} [الممتحنة: 8، 9]

روى البخاري في صحيحه عن أسماء بنت أبي بكـر الصـديق رضـي الله عنهمـا قـالت: أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَـةً، وَهِيَ مُشْـرِكَةٌ فِي عَهْـدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ». قَـالَ سـفيان بن عيينـة: - أحـد رواة هذا الحديث-: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَـا: {لاَ يَنْهَـاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ} الآية. [94]

وقد روى البخاري هذا الحديث في صحيحه، وبوب عليه بقوله: باب الهدية للمشركين، وقول اللـه تعـالى: { {لَا يَنْهَـاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَـاتِلُوكُمْ فِي الــدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُــوكُمْ مِنْ دِيَــارِكُمْ أَنْ تَبَــرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، وذكـر معـه حـديث ابن

---

[92] رواه ابن أبي حاتم من طريق عَقِيل عن ابن شهاب الزهري مرسلا، نقله ابن كثير في تفسيره عنه. تفسير ابن كثير ت سلامة (8/ 89).

[93] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (23/ 320)

[94] صحيح البخاري (2620) و(5978)، قال الحافظ ابن حجر: " أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَـةً " المعنى أنها قدمت طالبة في بر ابنتها لهـا، خائفـة من ردهـا إياهـا خائبـة، هكـذا فسره الجمهور". فتح الباري (5/ 234)

عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى أبيه عمر حُلَّةً (أي ثياب) من حرير، لا ليلبسها، وإنما لينتفع بها بوجه آخر من الوجوه، فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم. وقد أورد البخاري حديث أسماء مرة أخرى تحت باب صلة الوالد المشرك.

قال الحافظ ابن حجر في شرحه على صحيح البخاري: " البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه في قوله تعالى {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [المجادلة: 22] الآية، فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل والله أعلم".[95]

وقال تبارك وتعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} [الممتحنة: 13]

وقال سبحانه:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (101)} [آل عمران: 100و101]

وقال عز وجل:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (149) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (150)} [آل عمران: 149، 150]

وقال عز وجل:

{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120)} [البقرة: 120]

وقال عز وجل: {فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (8) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (9)} [القلم: 8، 9]

---

[95] فتح الباري (5/ 233)